الكناية تقرير المكني عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد
مع الإيجاز وصدر الشرطية بإن الذي للشك والحال يقتضي إذا الذي
للوجوب فإن القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك
نفى إتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم أو خطابا معهم
على حسب ظنهم فإن العجز قبل التأمل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا
جزم بلم لأنها واجبة الإعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول
ولأنها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل
على المجموع وكأنه قال فإن تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما
ولن كلا في نفي المستقبل غير أنه أبلغ وهو حرف مقتضب عند
سيبويه والخليل في إحدى الروايتين عنه وفي الرواية الأخرى أصله
لا أن وعند الفراء لا فأبدلت ألفها نونا والوقود بالفتح قال
سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم
بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده
وقد قرئ به والظاهر أن المراد به الاسم وإن أريد به المصدر فعلى
حذف مضاف أي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كالجمالة
جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الأصنام التي نحتوها
وقرنوا بها أنفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها
واستدفاع المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى إنكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم
كما عذب الكافرون بما كنزوه أو بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة
في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويفتخرون
بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص إعداد هذا النوع من العذاب
بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل
وإبطال للمقصود إذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث
تتقد به كل نار وإن ضعفت فإن صح هذا عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما فلعله عنى به أن الأحجار كلها لتلك أي النار كحجارة
الكبريت لسائر النيران ولما كانت الآية مدنية نزلت بعد ما نزل
بمكة قوله سبحانه وتعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس
والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فإنها

(هامش: والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وبالفتح قد جاء المصدر صح)

(هامش: بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به)

تجب

تجب أن تكون قصة معلومة أعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة
لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والمعنى استئناف أو
حال بإضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها وإن جعلته مصدرا
للفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الأول
ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة
بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الإتيان بما يعارض
أقصر سورة من سور القرآن ثم إنهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة
وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجؤوا إلى جلاء الوطن
وبذل المهج والثاني تضمنهما الإخبار عن الغيب على ما هو به فإنهم
لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه
أكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث أنه عليه الصلاة و
السلام لو شك في أمره لما دعاهم إلى المعارضة بهذه المبالغة
مخافة أن يعارض فتدحض حجته وقوله أعدت للكافرين دل
على أن النار مخلوقة معدة لهم الآن **وبشر الذين آمنوا وعملوا
الصالحات أن لهم جنات** عطف على الجملة السابقة والمقصود
عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال من كفر به
وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الإلهية من أن يشفع
الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن
اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب أن يطلب
له ما يشاكله من أمر أو نهي فيعطف عليه أو على فاتقوا لأنهم إذا
لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر إعجازه وإذا ظهر ذلك
فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك
يستدعي أن يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وإنما أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم أو عالم كل عصر أو كل أحد يقدر على البشارة
عطفا على أعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فإنه
يظهر أثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هي
الخبر الأول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر
فأخبروه فرادى عتق أولهم ولو قال من أخبرني عتقوا جميعا
وأما قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم فعلى التهكم أو على

(هامش: بأن يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشأنهم وإيذانا بأنهم أحقاء بأن يبشروا ويهنئوا بما أعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول صح)

(هامش: حة)

Copyright © King Saud University